UNIVERSITE SETIF2

وحدة: تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته

إعداد الأستاذ: كمال خلفات

مستوى: السنة الثانية تاريخ

الموسم الجامعي: 2025/2024

المحاضرة الثامنة: الدول المغربية خلال منتصف القرن الرابع الهجري/م

كان ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، حيث برزت على رأسهم شخصية تتمثل في **مناد بن منقوش بن صنهاج**، وكان مواليا للعباسيين وخاضعا للدولة الأغلبية الحاكمة بافريقية وشرق المغرب الأوسط. ومناد هذا كان كبيرا في قومه، وكان يقوم بغارات على مضارب زناتة وقد شاع خبر هذه المعركة، فذاع صيته بالمغرب الأوسط. ولما استوثق الملك للشيعة بافريقية تحيز إليهم انتقاما من خصومه زناتة ومد العون للعبيديين في قضية محمد بن خزر، فكثر تبعه حتّى ضاقت بهم أرضهم، فسألوه أن يتخذ لهم بلدا يجمع شملهم ويكون لهم حصنا حصينا. فسار بهم إلى موضع **مدينة أشير** فأعجبهم الموقع لحصانته ولما فيه من عيون دافقة. فاختطها زيري على قمة جبل سنة 324هـ/935م.

بقيام ثورة أبي يزيد **صاحب الحمار** سنة 316هـ/928م.سطع نجم صنهاجة، وبرزت كمنقذ للعبيديين من هذا الخطر الداهم، وزاد تألقها في المنطقة بانتصاراتها المتكررة على زناتة.

وفي شهر محرم من **سنة361 هـ** كتب المعز الدين الله إلى يوسف بلكين يستدعيه إلى القيروان، فدخل عليه فأكرمه وأثنى عليه وحمد أفعاله وذكر له اختياره لتدبير شؤون إفريقية والمغرب بعده.

فقال بلكين: **يا مولانا، أنت وآبائك الأئمة من ولد الرسول عليه الصلاة وسلام، ما صفى لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري، قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح.**

فألح عليه المعز فقبل بلكين. إلا أنّه لم يجعل له حكما على جزيرة صقلية ولا على مدينة طرابلس الغرب، فعين على صقلية حسن بن علي أبي الحسين وعلى طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، وجعل على جباية أموال افريقية زيادة الله بن القديم وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف المرصيدي وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري .

ولما هم بالرحيل وأتم جميع ترتيباته وتجهيزاته صحبه بلكين بن زيري حتّى قابس وبها أمره المعز بالعودة، وأوصاه بوصايا كثيرة، كان آخره:" **يا يوسف إنّ نسيت ما أوصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء، لا ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تولي أحدا من اخوتك فإنّهم يرون أنهم أحق بالأمر منك**" ويضيف البعض وصية رابعة" **واستوصي بالحضر خيرا**".

ينفرد أبو زكريا بذكر هذه الوصايا برواية مختلفة عن ما ورد في المصادر الأخرى السنية والشيعية، ومؤداها أن المعز لما هم بالرحيل إلى مصر قال لبلكين :" ...**اشفني في أولاد المجوس زناتة ومزاتة ...وإني تركت لك في افريقية مائة ألف منزل، فاجعل في كلّ منزل فارسا تكتفي به لمحارتها..**" .

الأمراء الزيريين وأهم ما ميز فترة حكمهم

بلكين بن زيري أبو الفتوح: 362-373هـ

المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد: 374-386هـ

باديس بن منصور بن بلكين: 386-406هـ

بداية ظهور بني حماد في ظل حكم باديس بن منصور: كان أبوا الفتح المنصور قد عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة، فرأى باديس أن شوكت زناتة ويثرن ومغراوة قويت في المغرب الأوسط، فاستعمل عمه حماد على أشير سنة 387هـ واقطعه إياها وعهد إليه بمحاربة زناتة وكل بلد يفتحه.

ظل نصير الدولة مع عمه حماد بل كان هذا ساعده الأيمن إلى أن تحركت قبائل زناتة سنة 395هـ، في نواحي المسيلة وأشير، فسير لهم باديس عمه حماد فنازل زناتة وهزمها، ثمّ نزل مدينة تيجس من أحواز قسنطينة ثمّ نزل بأبي طويل وهي قلعة بأحواز قلعة حماد ومنفذها على الساحل، وهناك اختط مدينة القلعة بجبل كيانة بكتامة سنة 398هـ/1007م وأخذ حماد يعمل على استقلال باديس. فأحس هذا بما يتأهب، فأراد اختبار طاعته، فكتب إليه طالبا أن ينزل عن عمل تيجس وقسنطينة وقصر الإفريقي لفائدة ولده وولي عهده المنصور، وأبى حماد وأظهر الخلاف.

فسير له باديس لتسليم تلك المدن، هاشم بن جعفر وهو من أكبر قواده مرفوقا بابراهيم بن يوسف أخي حماد في شوال 395هـ، فلما قاربا حمادا فارق إبراهيم هاشما، ولم يصل إلى القعلة حتّى انضم إلى أخيه حماد. فاجتمعت كلمتهما. فخلعا الطاعة وأظهرا العصيان بذلك وجمعا الجموع الكثيرة. فكانوا ثلاثين مقاتلا.

فأعلن حماد نبذه لطاعة العبيديين، ودعا للخليفة العباسي في سنة 405هـ ، عندئذ عزم باديس محاربة عميه.

رحل باديس بن المنصور إلى قلعة بني حماد في المحرم 406هـ فنزل مكان يسمى قصر الشهيد، فأتاه جمع غفير من عسكر عمه حماد. ومازال نصير الدولة إذ ذاك يتابع سيره إلى أن وصل إلى تادميت، فبلغه هناك خبر وفاة ابنه المنصور عزيز الدولة. ثمّ سار إلى المحمدية، فقصد حماد أشير وهي له وفيها نائبه الحميري فمال هذا إلى باديس ومنع حماد من الدخول إليها.

سير باديس جيشا تحت قيادة أخيه كرامت إلى القلعة، فخربوها، ففر حماد ولحق بشلف بني وليل ولاذ في أتباعه حتّى نزل مواطن السرسو من بلاد زناتة، وصل باديس إلى واد شلف، فعبره، ثمّ عسكر قرب حماد وحشوده، هناك دخل في طاعته بنوتوجين إذ كانوا ساخطين على حماد لقتله أميرهم داقلتين.

والتقى الجمعان واقتتلا فانهزم حماد وانتهب عسكره وغنمت أثقاله وأمواله، ففر حماد إلى مغيلة ومن ثمّ إلى قلعته، سنة 406هـ/1015م. فتحصن بها مع أخيه.

فضرب باديس عليها حصارا مدة ستة أشهر حتّى قارب على فتحها قتل بلسعة عقرب علقت بثيابه.

–المعز بن باديس: 406–454هـ

كان حديث السن لا يتجاوز عمره ثماني سنين وستة أشهر وأياما. جلس للعزاء ثمّ ركب الموكب وبايعه النّاس. اتفق آل باديس وأكابر الدولة على استبانة **كرامت بن المنصور** على أن تكون البيعة العامة في المهدية. إلا أن المعز قد إتكأ على عمته أم ملال في تدبير شؤون الدولة قبل أن تتم تلك البيعة. واختارت له **ابن أبي الرجال** مؤدبا ومهذبا. وتوفيت سنة 414هـ.

تمت البيعة العامة سنة 407هـ فأخذ المعز زمام أمر دولته، أما كرامت فلم يغادر مدينة أشير حتّى قصده حماد في ألف وخمسمائة فارس، فلقيه كرامت في سبعة آلاف مقاتل. فالتحموا واقتتلوا قتالا شديدا. واستطاع حماد السيطرة على أشير بعد عقد الصلح مع كرامت الّذي تنازل عليها وعاد إلى المعز.

ركب المعز في المحرم سنة 407هـ ومشى في القيروان، والناس يسلمون عليه ويدعون له، فاجتاز جماعة، فسأل عنهم، فقيل له: هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر، فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر: فشجعهم قوله هذا وانصرفوا من فورهم

درب المعلى حيث يجتمع الشيعة، وشرعوا بقتلهم، فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار، ونهبت ديارهم، ولجأ من كان بالمهدية إلى الجامع، فلم يسلموا من السيف[1].

وفي سنة 408هـ/1017م تم الصلح بين **حماد والمعز بن باديس** وإنقسمت دولة صنهاجة إلى دولتين دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان **ودولة آل حماد** بن بلكين أصحاب **القلعة ثمّ بجاية بعد ذلك**.

ولكن هنا نذكر أهم ما وقع في عهد المعز بن باديس، أو ثمن القطيعة والتي تمثلت في الزحف الهلالي على المغرب الإسلامي، رغم ما تخلل ذلك من البعثات والرسائل الدبلوماسية، إلا أن المستنصر بالله العبيدي كتب إلى المعز بن باديس يرغبه ويرهبه، ويقول في أحد رسائله:" **هلا اقتفيت آثار من سلف من أبائك في الطاعة والولاء**." فلم يذعن المعز بن باديس لوعيد الخليفة المستنصر بالله، ولم يرهبه تهديد المستنصر بارسال الجيوش لتأديبه. فكتب المعز إليه:" **إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يمكله أسلافك**".

---

(1).ولما تولى المعز بن باديس الحكم أعلن القطيعة للدعوة الشيعية، حيث ذكر ابن الدباغ في معالم الايمان(605-696هـ/1208-1296م) من ترجمته لأبي حسن بن خلدون البلوي الفقيه الكبير المتوفى سنة (407هـ/1016م) أنه دخل إليه جماعة من المشارقة- شيعة- والشرطة مع عامل القيروان بعد صلاة العصر سنة (407هـ/1016م) فقتلوا أبا محمد الغرياني الفقيه وأصحابه، وجرحوه جراحات قاتلة وتوفي بداره أثر هذه الجراحات.

ويرجع سبب قتله أنه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت أبيه واستفتاح ولايته يوم الجمعة منتصف محرم عام (407هـ/1016م)، كان المعز منحرفا من المذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة، وأعلن لعن الرافضة ثم صار إلى قتل من وجد منهم حسب رواية ابن خلدون(ت808هـ/1405م) أنه كبا به فرسه ، فنادى مستغيثا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسمعته العامة، فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم أبرح قتل وقتل دعاة الرافضة، ولجأت الرافضة إلى مساجد المهدية فقتلوا فيها، وأثناء هيجان العامة جاءت متعلقة برجل اتهموه بالرافضة، فمروا به على شيخ من العامة، فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى الشيخ أبي علي بن خلدون، ننظر ما يأمرنا به، فقال لهم الشيخ: لا اقتلوه الآن، فان كان رافضيا أصبتم وإن كان سنيا عجلتم بروحه إلى الجنة الآن.فرعب المعز منهم واراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم أهل السنة وشيخ هذه الدعوة.كما خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم (422-467هـ/1031-1074م) على منبر جامع القيروان وأمر باتخاذ السواد شعار العباسيين، ونقش اسمه على السكة في الوجه الأول" ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه".لا اله إلا الله وحده لا شريك له.محمد رسول الله." أما الوجه الثاني:" باسم الله ضرب بمدينة القيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.**﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ونذيرا وداعيا إلى الله﴾**".

=ويذكر ابن عذارى أن سبب قطع الدعوة العبيدية من الخطبة الجمعة بالقيروان وغيرها، لما رحل بنو عبيد إلى مصر، لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بأفريقة، ويذكرون أسماءهم على المنابر، وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعاتهم، فكان بعضهم إذا بلغ إلى المسجد قال سرا:" اللهم أشهد، اللهم أشهد" ثم ينصرف فيصلي ظهرا أربعا، فتعطلت الجمعة دهرا، إلى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم. لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث، ص 72-73؛ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1986م، ص 480.حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام، ط14، دار الجيل للنشر-بيرت، مكتبة النهضة المصري-القاهرة، 1996م، ج4، ص 226.ابن خلدون: العبر، ج6،ص 210-211.الدباغ: معالم الايمان، ج3، ص 154-155. أبو يزيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ماضور، الدرا التونسية للنشر-تونس، مكتبة الخناجي للنشر-مصر، 1978م، ج3، 153-154.

واهتدى الخليفة العبيدي المستنصر بالله للأنتقام من المعز بايعاز من وزيره اليازوري بعد استنفاذ كل السبل وقطع جميع قنوات الاتصال، وهي إرسال القبائل العربية من معاقلها بالصعيد باتجاه غرب، فلما تم له ذلك وصل عامتهم ببعير ودينار لكل فرد، وقال الخليفة في رسالة للمعز بن باديس:" **أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا**".

وبهذا أراد السلطان المستنصر تقويض سلطان المعز بواسطة هذه القبائل، وقد اتفق معهم على أن يذهبوا جماعات وأفراد إلى إفريقية.

فتوافدوا على المعز بن باديس الذي حاول إقناعهم بالدخول في خدمته وضمهم إلى جيشه، لكن مقدمهم مؤنس بن يحي الذي أجابهم لن يستطيعوا أن يكونوا في جيش المعز –فعمل المعز على مهادنتهم وصاهر منهم ثلاثة من بناته– لقد جاءوا للتمتع بالسلطة لا ليكونا في خدمة الغير، وهذا ما يوضحه قول المستنصر لهم:" **قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق، فلا تفتقرون**".

فتتابعت القبائل الكثيرة الوافدة إلى المغرب مثل سليم وهلال ورياح والأثبج، فلما دخلوا بأرض برقة وما والاها وجدوا بلاد كثيرة المرعى، خالية من الأهل لأن زناتة أهلها فأبادهم المعز.

ويذكر ابن خلدون(ت808هـ/1405م) لما أجازوا النيل إلى برقة ونزلوا بها واستباحوها، وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية واسمرا وسرت وسارت بطون هلال إلى **أفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا أفريقية سنة (443هـ/1053م)**.

استعد المعز بن باديس وجهز جيوشه وعبيده، لكن الهزائم توالت عليه، ففي معركة يوم العين[2]، التحم القتال واشتدت الحرب وركزوا الطعنات في عيون جيش المعز، التي كانت قد تحصنت بالكرزاغندات والمغافر، وحصلت المصادمة في حيدران سنة (443هـ/ 1052م)، بالقرب من قابس شرق قرية المطوية شمال قابس، وأفضت إلى انهزام رعاة الحضارة القيروانية التي دقت ساعة انقراضها فسلّم سكان البوادي الذين استولى عليه الفزع ولأراضيهم للنهب، والتجأوا إلى المدن

[2] – خرج المعز بن باديس في ثلاثين ألف فارس، وسار حتى انتهى إلى حيدران، وهو جبل على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان، وكان عدد العرب ثلاثة آلاف فارس، فلما شاهدوا عساكر صنهاجة هالهم ذلك، فقال مؤنس بن يحي المرداسي:" يا وجوه العرب ماهو يوم فرار"، فقالوا له:" أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكازغندات والمغافر؟". فقال أمير منهم:" في أعينهم"، فسمي من ذلك اليوم ((أبا العينين))، كما فعل عبد الله بن سعد بن أبي سرح في حرب النوبة جنوب مصر، الأمر الذي أدى إلى اطلاق اسم ((يوم العين)) على تلك المعركة.راجع: النويري: نهاية الأرب، ج24، ص 119؛ أبي عبد الله بن محمد التجاني:رحلة التجاني، قدم لها:حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،2005م،ص 54.

وأمام تقاعس السلطة المركزية، تحولت أغلب تلك المدن إلى دويلات مستقلة، أو سقطت بين أيدي الهلاليين الذين تقاسموا البلاد فيما بينهم.

وذكر ابن خلدون في هذا الصدد :" واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة (446هـ/1054م)، وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى المغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأثبج والخلط وسفيان".

وفر المعز بنفسه وخاصته إلى القيروان ونهبت العرب جميع محله من المال والمتاع والذخيرة، إذ بلغ عدد القتلى ثلاثة آلاف وثلاثمائة ثم نزلوا بالقيروان،بعدما فر المعز بن باديس إلى المهدية لعجزه عن الدفاع عنها واستقبله هناك ابنه تميم إلى أن توفي بها.

فلم يكن بإمكان **المعز بن باديس** أن يتغلب على الثورات والانقلابات، ودفع ثمن هذه القطيعة، ورغم كفاءته لم يقدر قدرة العبيديين على اذايته، فقد أفضى به الأمر إلى المهدية مجردا من كل سلطة، وتوفي سنة (454هـ/1062م).فالتاريخ لا يظلمه فقد اعتبر من أكبر ملوك لمسلمين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وبذلك انتهت الدولة بنهاية المعز.

تميم بن المعز (454–501هـ):

وقد كان مولده بالمنصورية، منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولي على المهدية من عام خمس وأربعمائة، إلى وفاة أبيه، حيث انتزح إلى القيروان واستبد بالملك بعد أبيه.

أهم ما ميز فترة حكمه:

شهدت فترة حكمه مجموعة من الفتوحات أهمها:

فتحه عام 491هـ جزيرة جربة وجزيرة قرقنة.

وفي عام 493هـ فتح تميم مدينة سفاقس، وقد توفي ليلة السبت من سنة إحدى وخمسمائة، وقد دفن في قصره، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير

يحيى بن تميم (501–509هـ):

ويعد خامس أمراء الدولة الزيرية الشرقية، وقد كانت ولايته بالمهدية لأربع بقين من ذي الحجة، سنة سبع وخمسين وأربعمائة، ومما عرف عنه قمعه للثائرين، كما عرف عنه أنه كان حسن السيرة مع رعيته.

أهم ما ميز فترة حكمه:

- إنشاؤه لأسطول بحري قوي غزا به بلاد الروم

- غزوه لساحل أوربا عدة غزوات حتّى لقبه النصارى " الجريء " وسالموه، وقد توفي يحي بن تميم يوم عيد الأضحى من عام تسع وخمسمائة.

علي بن يحيى (509–515هـ):

وهو الآخر من أمراء الدولة الزيرية، وعلى يده شهدت بداية نهايتها، وقد بويع سنة وفاة أبيه، أي عام 509هـ.

أهم ما ميز فترة حكمه:

حصاره عام 510هـ مدينة تونس، وبها أحمد بن خرسان.

وفي السنة نفسها فتح جبل وسلات بافريقية، واستولى عليه، وهو جبل منيع، وقد عاجلته المنية عام 515هـ.

الحسن بن علي (515–إلى غاية دخول النورمان وتحريرها من طرف الموحدين:

وبوفاة علي ولي بعده نجله الحسن، والذي يعد خاتمة الملك الصنهاجي بتونس، ولم تدم فترة حكمه طويلا، فسرعان ما كانت نهايته ملكه على يد النورمان، بعدما هجموا عليه عام 517هـ، فهزموا، ثمّ عادوا الكرة وتمكنوا من احتلال تونس عام 543هـ، لينزل الحسن تحت رعاية ابن عمه يحي صاحب بجاية، إلى ملكهم عبد المؤمن ممهد الدولة الموحدية.

الدولة الحمادية 408–547هـ:

رأينا في شرحنا لقيام الدولة الزيرية كيف كان صعود حماد بن بلكين إلى غاية استقلاله عن الدولة الزيرية؛ فيما يلي ندون حكام الدولة في القلعة ثمّ بجاية:

حماد بن بلكين 408–419هـ

القائد بن حماد 419–437هـ

محسن بن القائد 437–437هـ

بلكين بن محمد بن مناد 437–454هـ

الناصر بن علناس 454–481هـ

المنصور بن الناصر 481هـ–498هـ

باديس بن المنصور 498هـ (لم يكمل سنة)

العزيز بن المنصور 498–515هـ

يحي بن العزيز 515–547هـ

دولة المرابطين: 440–541هـ

جهود عبد الله بن ياسين في إقامة الدولة المرابطية في المغرب:

لما وصل يحي بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين إلى قبائل جدالة ولمتونة جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة وفق – التعليمات التي اعطيت له من درف شيخه وجّاج بن زلّوا–؛وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، فلما رأوا تشدده عليهم في ترك ما هم عليه من منكرات تبرؤوا منه وهجروه وقالوا له: "أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب، وأما قولك: من قتل يقتل ومن سرق يقطع، ومن زنى يجلد أو يرجم فأمر لا نلتزمه" . فثقل ذلك عليه وقرر الرحيل إلى السودان. لكن يحي بن إبراهيم أشار عليه بالذهاب إلى جزيرة في البحر ليتعبد فيها.

فذهب إليها ودخل معه سبعة من نفر جدالة، معهم يحي بن عمر وأخوه أبو بكر،حيث كونوا رباطا جذب إليهم الناس. فأحبوه واجتمعوا حوله نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة.

فأخذ يعلمهم دين الإسلام من الكتاب والسنة، ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة؛ وذلك بإرسال رؤساء القبائل إلى قبائلهم ليعلموهم أصول الدين ويجاهدوا من رفض. فكان ذلك.فقاتلوا قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة حتى اطاعوهم. فاشتهر أمرهم في جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب.

ولما هلك يحي بن إبراهيم أراد عبد الله بن ياسين تقديم غيره ليقوم بحروبهم، فوقع الاختيار على أبي زكريا يحي بن عمر اللمتوني، الذي تمكن من الاستيلاء على جميع بلاد الصحراء، إذ غزا بلاد السودان. وفي سنة (447هـ/1055م)، استنجد به أهل سجلماسة ودرعة لما نالهم من جور أميرها مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي. وهزم هذا الأخير وقتل.

ولما هلك يحي بن عمر سنة (448هـ/1056م)، قدم عبد الله بن ياسين أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني مكانه الذي بايعته لمتونة وسائر الملثمين وأهل سجلماسة ودرعة. فغزا بلاد المصامدة: أغمات وريكة، وهيلانة ،وهزميرة. وبلاد السوس. وماسة وجزولة وتارودانت، ثم فتح تادلا وجبال درن ونفيس وكدميوة. ثم ساروا إلى بلاد تامسنا وفتحوها.

وفي أثناء ذلك توفي عبد الله بن ياسين سنة (451هـ/1059م).

وفي سنة (452هـ/1060م) خرج أبو بكر بن عمر بجيوشه إلى بلاد المغرب، ففتح بلاد فازاز وزناتة ومكناسة ، ليرتحل إلى لواتة ثم أغمات أين تزوج بزينب بنت إسحاق الهواري وبقي هناك إلى أن بلغه اختلال أحوال الصحراء، فخرج إليها واستقدم ابن عمه يوسف بن تاشفين مكانه، وتزوج بزوجته زينب، وطلب منه قتال مغراوة وبني يفرن وقبائل البربر وزناتة.

فرجع يوسف بن تاشفين بنصف الجيش بينما ذهب النصف الآخر مع أبي بكر بن عمر سنة (453هـ/1061م).

2- جهود يوسف بن تاشفين في إقامة الدولة المرابطية:

سار يوسف بن تاشفين بنصف الجيش الذي تركه أبو بكر. واستوثق أمره به. فنزل جبال زناتة بالمغرب وافتتح فاس صلحا سنة (455هـ/1063م)، ليفتتحها عنوة سنة(462هـ/1069م)، وهدم أسوار العدوتين الفاصلة بين القرويين والأندلسيين. كما افتتح تلمسان واستولى على المغرب الأقصى.

وفي سنة (464هـ/1071م) قوي أمره وعظمت شوكته فاشترى جملة من عبيد السودان نحو ألفين. وبعث إلى الأندلس فاشترى جملة من العلوج نحو مئتين وخمسين فارس.

وفي سنة (465هـ/1072م) جاء أبو بكر ليعزله نظرا لما سمعه عن ضخامة ملكه. فدار حوار بينهما خرج منه يوسف بن تاشفين بوصية من أبي بكر، قال له فيها: " يا يوسف أنت أخي، وابن عمي، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك وأنا لا غناء لي عن الصحراء. وما جئت إلا لأسلم الأمر إليك وأهنئك في بلادك... فشكره يوسف على ذلك. وأحضر أشياخ لمتونة وأعيان الدولة... وأشهد على نفسه بالتخلي له عن الأمر بوطن المغرب".

جرت عادة المرابطين أن تعقد البيعة للأمير حسب هذا الترتيب: أفراد الأسرة المالكة، فالأمراء، فرؤساء القبائل، ثم عمال الدولة، ثم البيعة في المساجد العامة؛ وهذا دليل على أن أمر الملك كان يسير على نظام الشورى المتدرجة.

فعاد أبو بكر إلى الصحراء وبقي بها إلى أن توفي. فاجتمع على يوسف طوائف المرابطين وملكوه عليهم، ولقبوه بأمير المسلمين. وأعلن ولاءه للخليفة العباسي ببغداد. فأسس مدينة مراكش. ليفتتح المغرب الذي كان تحت حكم الزناتيين.

وفي سنة (467هـ/1074م)، فتح جبال غياثة وبن مكود وبن رهينة، وولى بعض قادته على المناطق المفتوحة. وفي سنة (470هـ/1077م) جدد العساكر وضم إليهم مجموعة من الحشم – جزولة ولمطة...–،ومجموعة من الداخلين– الأعلاج–. فاجتمع له نحو ثلاثة آلاف فارس.

وفي سنة (473هـ/1080م)، فتح يوسف بن تاشفين وجدة وتنس ووهران وجبال ونشريس وأعمال شلف إلى الجزائر؛التي بنى بها الجامع الكبير. ورجع إلى مراكش عام (475هـ/1082م).

وفي سنة (477هـ/1084م) فتح المعز بن يوسف سبتة، وصار واليا عليها بعد إخراج الثائر سقوت البرغواطي منها.

فصار يوسف الحاكم الشرعي للدولة بعد أبي بكر بن عمر. حيث قام بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية لتدعيم دولته الناشئة، وبنى أسطولا واحتل الثغور الشمالية: سبتة، طنجة، مليلة، ووحد المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط،

وتوسع إلى تلمسان ووهران وتنس والجزائر، ليصل إلى حدود الصنهاجيين: بني حماد والزيريين في إفريقية. وتوقف هناك كونهما من بني عمومته.

فدانت له بذلك بلاد المغرب من العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان. توفي سنة 500هـ؟

2-4- علي بن يوسف وتاشفين بن علي:

تولى بعد يوسف ابنه أبو الحسن علي؛ وذلك لما جوزه معه إلى الأندلس في قرطبة بحيث دعا جميع أمراء لمتونة وأشياخ البلاد وفقهائها وقادة الرأي لحضور البيعة.

كان حكيما في سياسته، حريصا على الجهاد؛ بحيث يعتبر أول من استعمل الروم بالمغرب. فغزى بنفسه بلاد الروم، وجاز إلى الأندلس في مدته ومدة أبيه أربعة مرات؛ أولاها في سنة (500هـ/1106م) وآخرها سنة (515هـ/1121م). فتوطدت أحوال المغرب والأندلس في عهده وكان قد أسند الأمر لأهل الدين والفقه، فكان لا يقطع أمر في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء؛ حيث بلغوا مبلغا عظيما في أيامه. فبلغت الإمبراطورية المرابطية في أيامه أوج حضارتها وازدهارها. وتوفي سنة(537هـ/1142م). وولي بعده ولده تاشفين بن علي من سنة 537 إلى سنة 541هـ. وقيام دولة الموحدين